فيه ؟ فجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام الجليل أن يبرأ من مثل هذه العبارة وان وجدت في كتاب معزو اليه، ويحكم بانها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشعراني في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لغيره . كيف لا وان بين ايدينا كتبا كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لمذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تعدوه قط

باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد العثمانية وفي سائر البلاد (*

أيها الاخوان : نخبركم بمزيد الاسف ان الدستور الايراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا الايرانية المستبدة لضعيفة امام حزب المجاهدين الايرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد الفقراء واستئصال المطالبين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة العثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور الايراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديموقراطين في ايران

ايها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فماذا يكون اذا نحن سائر الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاشر حزب الاشتراكيين

(*) جاءتنا هذه الرسالة باللغة التركية فترجمناها ونشرناها

الديموقراطيين الايرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد العثمانية وغيرها من البلاد باسم الانسانية والحرية والنصيحة للنوع البشري ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا استياءهم من الحكومتين الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الايراني بالتداخل في امور ايران الداخلية نحن معاشر المجاهدين نرفع اصواتنا على عتبة مجلس الشورى الايراني قائلين :

ليحي جميع الاحرار والناصحين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، تحي الجمهورية الديموقراطية ولتسقط الحكومة المقلقة وليسقط الاغنياء الظالمون

حزب الديموقراطيين الاشتراكيين الايراني ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦

فقيد الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى باشا كامل ﴾

مالنا لا ننتهي من نعي الا الى نعي ، ولا نفرغ من ترجمة مبكي الا لنفجأ بتأبين مبكي ، وما بال أم لهيم تلتهم من المسلمين أشهر الكتاب والسياسيين ، فهاهي ذي قد اغتصرت اليوم أندى الصحافيين المصريين صوتاً ، وأبعدهم في عالم السياسية صيتاً ، وأشدهم في دهماء بلده تأثيراً ، وأكثرهم ولياً ونصيراً ، مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء المصرية ، ومدير جريدتي اللواء الفرنسية والانكليزية ، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض مماته ، واختاره رئيساً له مدة حياته .

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيعاً قضى نصفها في السياسة ، ونصف هذا النصف في الصحافة ، باذلاً فيها أخذ فيه جميع أوقاته ، مفرغاً

فيه منتهى وجدانه وشعوره ، وما زال الشعور والوجدان، أقوى المؤثرات في الانسان، وقد أعجب بخطته في اللواء جمهور القارئين ، ثم تحزبت له نابتة كبيرة من المتعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا، وملك قلوبهم ملكا، فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته بمظهر غريب ، مارؤي مثله من نصيب ولا قريب ، حتى أثرت حالهم في جميع المشيعين، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استعبرت المقل الجامدة ، وسعرت الافئدة الخامدة ، بل كان لهم بعد ذلك سلطان على اكثر الجرائد المصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان بينه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو الجذع نائله ، ويخشى القارح عقابله ، ومشى في جنازته خلق كثير ، في مشهد لم يعهد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يعلوها السواد ، وقدر عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأى بعضهم انهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا بينا لقوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يحدث نفسه بالسياسة ، ويمنيها بالرياسة ، فيحدو به ذلك الى مثافنة الكبراء ، ويزجيه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فتحت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزينت له بأن يكون طلابها ، فآثر لحبها التناوة على المذاكرة بجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوذعة وجرأة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة طولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى المعالي ، جرئ الجنان ، طلق اللسان ، قوي الشعور والوجدان ، متلافا للمال ، اذا اقتضت الحال ، فهذه هي الصفات

الفطرية ، التي أهلته لتلك الغاية الكسبية ، باقتراص الحوادث ، ومواتاة الوقائع ، ومساعدة الزمان ، واستعداد البيئة والمكان ،

أما استعداد البيئة فنشؤه انه كان قد سبق لهذا الشعب حركة حيوية ، ونهضة اجتماعية ادبية ، تلتها يقظة وطنية ، أنتجت ثورة شعبية عسكرية ، وعقب ذلك احتلال الانكليز للبلاد ، وايقاف حركة ذلك الاستعداد ، فسكتت الالسنة وسكنت الاقلام ، وغلت الايدي وقيدت الاقدام ، ولكن هذا الوقوف كان في الظاهر ، دون ماتنطوي عليه السرائر ، من ضغائن مضطربة ، وحفائظ مضطرمة ، وأوهام مفزعة ، وأحلام مزعجة ، مع مجاراة الامير توفيق للاحتلال ، ومواتاته له في كل حال ،

فبعد ان قضى الامير توفيق وولي الامير عباس دخلت البلاد في عهد جديد من الحركة الوطنية ، تجلت فيه كتجليات الحقيقة الكلية ، فكان تجليها الاول هو التجلي العام ، الذي ظهر في الخواص والعوام ، وكان لسانه الناطق جريدتا المؤيد والاهرام ، ثم فتر التجلي في جميع الطبقات ، ثم ظهر في طبقة الضباط وقتا من الاوقات ، ثم فتر طائفة من الزمان ، ثم ظهر في مظهره الذي هو عليه الآن ، بأن نفخت روحه في الناشئين ، ففعلت فعلها في غير أصحاب العمائم من المتعلمين ، لان هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين ، وقد كان مصطفى كامل (رحمه الله) هو المجلي ، في ميدان هذا الطور من اطوار التجلي ، ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها ، أو سائقها وحاديها ، وهي هي فوق المدعو والهادي ، وامام المسوق والحادي ،

وقد كنت اعجبت بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكتبت فيها مقالة في المؤيد عنوانها (الحياة الوطنية) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بعض أساتذة المدارس الاميرية ، ثم رأيت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية للمسلمين، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين، واكثرت من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن. ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الان ،

عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجرتي لهذه البلاد وكنت أراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان معجبا بالمنار حتى كان يهنئني احيانا ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب من الشيخ محمد عبده ان يجعلك خطيبا في أحد المساجد الكبيرة فان له نفوذا يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به صحبة لطلبت لك منه ذلك ، ومن هذه العبارة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم اصدر جريدة اللواء — والمنار يومئذ في اصيل سنته الثانية — فنصحت له في تقريظها بان يتتبع ما يكتب في الجرائد الاوربية عن الاسلام ويترجمه لجريدته ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفا فساءه ذلك ولكنه علم بعد التجربة انه لباب النصيحة . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب انه في مصر من يسعى لها سعيها وبينت له وجه الضرر في ذلك الارجاف . فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه وانحى علينا بعد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه ولو مهضوما ، ونصر من وافقه ظالما كان او مظلوما ، وكان الاول من اسباب بطء انتشار اللواء ، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء ، كالمبالغة في ذم المحتلين ، وانتقاد الحكومة ، ومدح الامة ، وتحامي الانتقاد عليها ، والتنويه

بالاستقلال ، والتعجل بطلب محو الاحتلال ، ولكن اللواء صار في هذه المدة الاخيرة من اهم الجرائد المصرية واكثرها انتشارا . فرحم الله مؤسسه وعفا عنه ولعلنا نوفق بعد الى كتابة شيء عن العبرة بسيرته في حياته وموته »

تاريخ العرب والاسلام

(في سلك القصص والروايات)

لاسلوب القصص المعروفة بالروايات تشويق للمطالعة لا ينال منه الملل ، وجذب الى القراءة لا يخشى معه السأم ، فاذا هي أودعت من الفوائد النافعة في التاريخ والآداب والاخلاق والسياسة وشؤون الاجتماع ما يتفق مع اللذة كانت من أقوى ذرائع تهذيب الجمهور ورفع طبقات العامة الى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى تكون الامة كسلسلة اذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة الى الطرف الآخر . وانه ليحزننا ان نرى أكثر القصص او الروايات كما يقال خالية من هذه الفوائد ، مشتملة على كثير من المفاسد ، تغري الفتيان والفتيات بالغرام ، وتجرئ الجاني على ارتكاب الجرائم ، وتعلم الاغرار ، حيل الشطار

هذا واننا نحن المسلمين قد أصبحنا وامسينا أجهل الامم بتاريخنا ، وكيفية تلك النشأة الصالحة لملتنا ، وينابيع تلك الآداب ، التي أخضعت أمم المدنية لشرائع من الاعراب ، ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ، وأما بقي روايات متفرقة كروايات الحديث ، لم يرزق من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ، كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط احكامه ،

فنحن الان في حاجة الى وضع تاريخ الاسلام في اسلوب علمي لاجل الخواص ، والى إيداعه في اسلوب قصصي يسهل تناوله حتى على العوام ، وقد كان الوضع الاول آخر عمل توجهت اليه همة الاستاذ الامام ، وفي عزمنا ان نخلفه فيه ان شاء الله وامهلتنا الايام ، وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي العالم الاسلامي والكاتب الاجتماعي ، وقد سمى الرواية الاولى (خديجة ام المؤمنين) وسننشرها في المنار بالتدريج ، وهاك مقدمتها في هذا الجزء

خديجة أم المؤمنين

(مقدمة)

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث عظيم جداً لم يحدث بعده مثله الى الآن ، وقد كان له دويّ قويّ وأثر كبير في آسيا وأوربا وأفريقيا وخلفه انقلاب عظيم في ممالك الارض وتغير جسيم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب بعقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً الى كلمة النبي الذي قام فيهم منهم وهو محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالهجوم على الممالك وفوزهم بهذا الهجوم وانتصارهم وغلبتهم على الامم وانضمام أمم كثيرة الى عقيدتهم وتكوّن ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاطلانتيكي شرقاً وغرباً ومن سواحل البحر الأحمر الى سواحل بحر قزوين شمالا وجنوباً في أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريعة

هذا الحادث العظيم يتلقاه بعض الناس بغير تفكر كأنه معتاد الحدوث كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سر حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من التدبر والتفكر بسر ذلك النجاح العظيم الذي أوتيه أولئك القوم بسرعة

جديرة أن نشبعها بلمح البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم انه حادث من أكبر الاحداث التي حدثت في الدنيا ويراه جديرا بالبحث والتأمل وامعان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تم بهما هذا الحادث العظيم الاول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي ان أول مؤمن به هو صاحب الفضل الاول بعد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الامور التي يحق أن يفتخر بها جنس النساء ان هذا الفضل الاول أي السبق بالايمان به والموافقة له كان نصيب سيدة من أشراف قومه هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الاحجار الاولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداهة من فوائد جسيمة أزمعت ان أقدم في هذه الاوراق لمحبي الفوائد الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جدا قبل دخولي بالقارئ على سيرتها ان أمر به مرة على قومها العرب عامة ثم قريش خاصة فان تعرفه بهم يساعده على معرفة هذه السيدة الجليلة

* * *

العرب

العرب كسائر الامم أوائلهم مجهولة ، وأحوالهم منذ عرفوا معروفة ، نقف الآن عند هاتين الكلمتين ونلتفت قليلا الى مبحث لطيف نختصر فيه الكلام ثم نعود الى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام انهم يعرفون أصول أمتهم الى أبي البشر الاول ومن الاقوام من يزعمون انهم يعرفون سلاسل أصول الامم كلها حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لايستطيع أن يجزم بشيء مما يذكر عن تلك الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق مايروى يتشابه عليه الامر فيحار في تصديق المتناقضات ، والترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح الحريص على المعرفة الى الاستئناس بما يمكن قبوله من الحكايات في هذا الباب لايستغني عن طرح كثير منها مما تقوم الادلة على بطلانه

لماذا حرص كل الشعوب على معرفة أسلافهم الى أول أصل ؟ لاأدري ولكن يلوح لنا انه لذت للاكثرين دعوى هذه المعرفة فابتدع كل قوم اسطورة في بيان أصلهم ينقلها الآباء للابناء ويسطرونها في كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما يئسوا من هذه المعرفة قنعوا بأن تكون لهم معرفة ما بأصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات وغيرها من المميزات وقد آنسوا من كثرة البحث والاستئناس بالمنقول ان البشر المعروفين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارية و (٣) التورانية

وظاهر من هذا انهم لما أرادوا وضع اسماء للاصول القليلة التي تفرعت منها هذه الشعوب المعروفة تساهلوا بقبول بعض ما لفق في حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لايروي في الحقيقة غليل المحققين ولا غليل الخياليين فسيظل المحققون صابرين على جهل مثل هذا ويبقى

الجاليون مستمسكين بما قد حكي لهم من قبل وربما تسلى محب الحقيقة عن احتجابها برؤية تماثيلها وما تماثيلها الا أساطير الاولين

اما نحن فنرى انه لا حاجة للتسلي بتلك الاساطير لاننا اذا اشتهينا المعرفة فأمامنا مما قد نستطيع معرفته ما تنفد مراحل أعمارنا من غير ان نقطع في ميدانه شوطاً بعيداً ، وما الوصول الى غاية في هذا الميدان مما يجوز ان نطمع فيه

فاذا أردنا الآن ان نعرف العرب فعلينا قبل كل شيء ان نزح أنفسنا من الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية الى آدم أو الى نوح بالتفصيل كما قطعنا طمعنا من معرفة ذلك في سائر الامم فلهذا لا حاجة الى ما يذكره علماء الانساب من كون هذا الجيل من الاجيال السامية اذ يقال أنى لهم العلم بسام ابي الشعوب السامية وكيف يبني أهل الفن مبادىء على شيء غير معروف بالطرق التي تفيد العلم اليقيني ؟ وما أغنى من يريد ان يعرف جيلاً كالعرب عن الاستعانة بأساطير الاولين

* * *

يقول المؤرخون ان العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣) مستعربة اما البائدة فهم العرب الاول الذين ذهبت عنا تفاصيل اخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وجرهم الاولى ، واما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان ، والعرب المستعربة هم ولد اسماعيل بن ابراهيم

هذا قولهم وهو لا يجدي لان البائدة ليست بموجودة حتى تعد وان كانوا يعدونها لان منها اشتق غيرها فهذه شهادة بأنها لم تبد . وقد

ذكروا في هذا التقسيم عرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلا ولم يذكروا لنا من هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم قسما مستقلا ولم يأتوا بدليل قويم على انه تفرع من اسماعيل ذرية مستقلة هم العرب المستعربة . وجل ما ذكروه ان اسماعيل الذي كان غريباً في جوار مكة المكرمة تزوج بامرأة عربية من تلك القبائل التي كانت حولها ، فبطل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الغريب وحده حتى صار قسما مستقلاً هو ثالث ثلثة أو ثاني اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندري ولكننا نعرف ان هذا من جملة الاقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون صبغة لا تزول فتمر الاكثرين وهي في الحقيقة لا تصبر على النقد والمحك فليت أولي الالباب يكثرون من حك هذه المشهورات

وانما يعجبني جداً في هذا الباب ماروي من ان النبي العربي عليه السلام كان اذا انتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول « كذب النسابون »[1] ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح

اما الذي لا يغير النقد من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب يوم ظهر فيهم النبي الذي أعلى شأنهم كانوا متفرقين في أقطار جزيرة العرب ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف لديها وتمسك عما وراءه . والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلا ، ولقبائل اليمن أصلا آخر ، وللقبائل بعد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

---

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتمته : قال الله تعالى « وقرونا بين ذلك كثيراً »

وعرب العراق والشام ترجع الى أحد هذين الاصلين أيضا ، فعدنان هو أبو عرب الحجاز غالبا، وقحطان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا

وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتتون متفرقون، متقاتلون متذابحون، لا ملك لهم جامع ، ولا شرع فيهم وازع ، ولا بد لهم في الاعمال الاجتماعية ، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم ، وتذكر فيه مآثرهم وآثارهم ، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام ، فالاسلام قد جمع الاوزاع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة الغزو ، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون قبائلهم أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأنسابهم ؟ ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا مجهولين ولا مجهولة أخبارهم فاذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأشعارهم المحفوظة المنقولة هي ديوان سيرهم ، واذا لم نثق بنقل أشعارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين ، وقواداً كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقواداً وولاة من العرب ، والديانة المجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس ، والكنائس تعرفت بهم لان منهم نصارى بل قسيسين ورهبانا ، وبيع اليهود ما جهلتهم والفلسفة ما أنكرتهم ، والحضارة قد ألمت بمساكنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم ، فكيف يكون هذا الجيل مجهولا بعد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب واتصال الديار والعصبية عند التناصر فاذا رجعوا الى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة الى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا. ولا يبتعد من أمة محتاجة الى التناصر وليس لها كسائر الامم كتاب يجمع أخبارها وسير ابطالها أن يعني كثير من أفرادها بحفظ ذلك في أذهانهم وأية أمة ممن نرى يتناسى أفرادها سيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من العرب اذا عظم أمره أو كثر ماله انفرد بأهله وانتمت اليه القرية ووضعوا لانفسهم نسبة جديدة من غير أن يضيعوا حظهم من الارتباط بالنسبة الاولى لان لهم عند التناصر حظا منها عظيما

يذكر أحد علماء هذا الشان ان العرب كانت قبائلهم ارحاء وجماجم فالارحاء هي القبائل التي أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلها ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالارحاء على أقطابها الا أن يلتجم بعضها في البرحاء وعام الجدب. والجماجم هي القبائل التي يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت باسمائها دون الانتساب اليها فصارت كانها جسد قائم وكل عضو منها مكتف باسم معروف بموضعه

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عنهم أهل الرواية أول كل شيء . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكروه عن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك انه رأى في منى رجلا على راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم المحاجن ينحون الناس عنه ويوسعون له

فدنا منه وقال له: ممن الرجل؟ فقال «أنا رجل من مهرة ممن يسكن الشجر» قال يزيد فكرهته وليت عنه فناداني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحلتي وقلت «انني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من مضر» قال «فمن القرسان أنت أم من الارحاء؟» فعلمت انه أراد بالقرسان قيسا وبالارحاء خندفا. فقلت «بل من الارحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الاروعة أنت أم من الحماجم؟» فعلمت انه أراد بالاروعة خزيمة وبالحماجم بني اد بن طابخة. قلت «بل من الحماجم» قال «فانت امرؤ من بني اد بن طابخة» قلت «أجل» قال «فمن الدوائي أنت أم من الصميم؟» فعلمت انه أراد بالدوائي الرباب ومزينة وبالصميم بني تميم. قلت «من الصميم» قال «فأنت اذاً من بني تميم» قلت «أجل» قال «فمن الاكثرين أنت أم من الاقلين أو من اخوانهم الآخرين؟» فعلمت انه أراد بالاكثرين ولد زيد وبالاقلين ولد الحارث وباخوانهم الآخرين بني عمر و بني تميم. قلت «من الاكثرين» قال «فأنت اذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فمن البحور أنت أم الذرا أم من الثماد؟» فعلمت انه أراد بالبحور بني سعد وبالذرا بني مالك بن حنظلة وبالثماد امرأ القيس ابن زيد. قلت «بل من الذرا» قال «فأنت رجل من بني مالك بن حنظلة» قلت «أجل» قال «فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب؟» فعلمت انه أراد بالسحاب طهية وبالشهاب نهشلا وباللباب بني عبد الله بن دارم. فقلت له «من اللباب» قال «فأنت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فمن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر

الاحلاف . قالت « من البيوت » قال « فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس وقد كان لابيك امرأتان فأيهما أمك ؟

* * *

ولقد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا على شيء مما عليه الامم من الروابط كلا بل كان لهم حضارات وملوكهم التبابعة في اليمن معروف أمرهم عند المشتغلين بالتاريخ . وملوك الحيرة (في العراق) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم . ان سهل تاريخ العرب أولهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن سلامان الازد من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعد عمرو ابن أخيه جذيمة الابرش بن مالك بن فهم وجذيمة هذا هو صاحب الحديث المشهور مع الزباء (زنوبيا) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي مؤرخو العرب ان جذيمة قتل أباها فحنت عليه الزباء وأطمعته في نفسها حتى اغتر وقدم اليها فقتلته وأخذت بثار ابيها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد ابن اخته عمرو اللخمي جد الملوك المناذرة اللخميين .

والملوك الغسانيون في الشام مشهورون أيضا لا يجهلهم من عرف تاريخ الرومان اذا جهل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الازد ابن الغوث ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة من سليح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام باربع مئة سنة وقيل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليح دانت له قضاعة ومن بالشام من الروم، وبنى بالشام عدة معاقل ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة، وبنى بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أيوب ودير هند، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبنى صرح القرير في أطراف حوران مما يلي البلقاء. ثم ملك الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبنى القناطر وأدرح والقسطل، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء فبنى بها الخنير ومعصنه، ثم ملك بعده المنذر الاكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الاول، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الايهم بن الحارث وبنى دير ضخم ودير النبوة. ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الاصغر ابن المنذر الاكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل محرق. ثم ملك بعده أخوه النعمان الاصغر بن المنذر الاكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر، وبنى قصر السويدا ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان، وهو الذي قاتل المنذر اللخمي بن ماء السماء. ثم ملك بعده النعمان بن الايهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه الحارث بن الايهم، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض

ملوك الحيرة اللخميين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوهما حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الايهم بن جبلة ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسرو بنى له قصراً بالبرية عظيما ومصانع . ثم ملك بعده اخوه المنذر بن جبلة ثم ملك بعده اخوهما شراحيل بن جبلة ثم ملك اخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك بعده ابن اخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن الايهم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني غسان ، وهو الذي اسلم في خلافة عمر ثم عاد الى الروم

* * *

ومن ملوك العرب ملوك كندة الذين من سلالتهم امرؤ القيس الشاعر المشهور أولهم حجر آكل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه عمرو المقصور سمي بالمقصور لانه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لانه وافق كسرى قباذ بن فيروز على الزندقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباذ المنذر ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فعظم شان الحارث المذكور فلما ملك انوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث المذكور فهرب وتبعته تغلب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وبأربعين نفساً من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني مرين وهرب الحارث الى ديار كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حجر قد ملكه ابوه على بني أسد بن خزيمة فبقي أمره متماسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم ودخلوا في طاعته ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس أبياتا منها

بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد ابيه فاستنجد ببكر وتغلب على بني أسد فأنجدوه وهربت منهم بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت عنه بكر وتغلب وتطاوله المنذر بن ماء السماء فتفرقت جموع امرئ القيس خوفا من المنذر ، وخاف امرؤ القيس منه أيضا فصار يدخل على قبائل العرب ، وينتقل من أناس الى أناس حتى قصد السموأل بن عاديا اليهودي فأكرمه وأنزله وأقام عنده ثم سار الى ملك الروم مستنجدا به وأودع أدراعه عند السموأل وكانت مئة وفي مسيره الى ملك الروم قال قصيدة تشعر بلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وقد مات في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر

فبالله كيف تكون مجهولة الامة التي فيها الملوك والابطال، وقد وقفت أمام الامم والاجيال سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، لعمرك ان القول بأن هؤلاء القوم كانوا مجهولين وأنهم كانوا متشتتين من غير ملك جامع ، ولا شرع وازع ، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكلف نفسه بحثا وهو لما يحط بذلك خبرا

ومتى كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا — ولدينا من بيئتهم كانوا هم أحق بمعرفة أنفسهم وحفظ مفاخرهم وعصبياتهم. وما نقل الينا عنهم من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شاهدة، وأمثاله امام أعيننا مشاهدة، واذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار لم يكن غيرها أحق بالثقة لعمر الحق فان تزوير الاساطير لا يستبعد وقوعه في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق من القرائن الشاهدة والنظائر الناطقة

فمن شاء ان لا يثق بمنقول البتة لا يضر في رأيه ولا ينفر التاريخ والمنقول ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيرا وانما يضره وحده. يقلل استفادته من المنقول، ويكثر وساوسه وغروره، ثم يصل الى درجة لا يثق معها أحد بعقوله. ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب لا أناقشه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية

ولا أزيده شيئاً على ما أوضحت به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

* * *

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي نروي هنا سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجد النفس حاجةً للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفاً ان لهؤلاء العرب المعروفين أصلين معروفين عندهم ومجهول ما وراءهما وهما عدنان وقحطان، فاما قحطان فقد أخذت ذريته

بحظها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته واما عدنان فان حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان لعظمه متجاوز النسبة أي انه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطفىء مجدهم وحظ اخوانهم العدنانيين الذين أشرق منهم نور مبين بهر العالمين أجمعين

فلذلك نلم هنا بذكر الذرية العدنانية دون الذرية القحطانية لاننا نريد ان يتعرف القارىء بقوم خديجة المخصوصين ٠ ﴿ فعدنان ﴾ ولد له ﴿ معد ﴾ ومعد ولد له ﴿ نزار ﴾ وأولاد نزار أربعة ﴿ مضر ﴾ وإياد وربيعة وأنمار وقد فارق إياد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق ٠ ومن ذريته كعب بن مامة الايادي المشهور بالجود وقس بن ساعدة الايادي المشهور بالفصاحة ٠ ومن ذرية ربيعة بن نزار قبائل عنزة وبكر ووائل وتغلب ومن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب . ومن بني بكر ابن وائل بنو شيبان ومن مشهوريهم مرة وابنه جساس قاتل كليب وطرفة ابن العبد الشاعر ومن بني بكر بنو حنيفة ومن مشهوريهم مسيلمة الكذاب

وولد مضر بن نزار ﴿ إلياس ﴾ وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس هذا فمن ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم مرضعة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عامر وصعصعة وخفاجة وبنو هلال وثقيف وبنو نمير وباهلة ومازن وغطفان وبنو عبس الذين منهم عنترة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فزارة وكان بين بني عبس وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعين عاما ٠ ومن بني ذبيان النابغة الذبياني الشاعر المشهور

وولد لالياس بن مضر ﴿ مدركة ﴾ وطابخة ومن ذرية طابخة بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة

وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيمة ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنتسب جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور

وولد لخزيمة بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والهون وولد لكنانة ابن خزيمة ﴿ النضر ﴾ وملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك فمن ملكان بنو ملكان ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهوريهم أبو ذر ، وبنو بكر . ومن بني بكر هؤلاء الدئل . ومن مشهوريهم أبو الاسود الدئلي وبنو ليث وبنو الحارثة وبنو مدلج وبنو ضمرة

وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواه وولد لمالك هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد لمالك غير فهر وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ ومحارب والحارث فمن محارب بنو محارب ومن الحارث بنو الحلج ومن مشهوريهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري فهر يقال لهم قرشيون

وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وتيم الادرم ومن تيم المذكور بنو الادرم ومعنى الادرم ناقص الذقن

وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمة والحارث وعامر وأسامة . ومن ذرية عامر بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله علي بن أبي طالب

وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فمن هصيص

بنو جمح ومن مشهوريهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنو سهم ومن عدي بنو عدي ومن مشهوريهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد

وولد لمرة بن كعب ﴿ كلاب ﴾ وتيم ويقظة فمن تيم بنو تيم ومن مشهوريهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن يقظة بنو مخزوم ومن مشهوريهم خالد بن الوليد وأبو جهل عمرو بن هشام

وولد لكلاب بن مرة « قصي ﴾ وزهرة ومن ذرية زهرة سعد ابن أبي وقاص وآمنة أم النبي (ص) وعبد الرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو الذي أثل مجدهم

وولد لقصي بن كلاب ﴿ عبد مناف ﴾ وعبد الدار وعبد العزى فمن بني عبد الدار بنو شيبة حجاب الكعبة ومن مشهوريهم النضر ابن الحارث كان من اشداء اعداء النبي ، ومن عبد العزى ايضا سيدتنا خديجة بنت خويلد التي نروي سيرتها

وولد لعبد مناف بن قصي ﴿ هاشم ﴾ وعبد شمس والمطلب ونوفل فمن عبد شمس امية ومنه بنو امية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن ابي سفيان مؤسس الملك الاموي . ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبيون ومن ذريتهم الامام الشافعي ومن نوفل النوفليون

وولد لهاشم ﴿ عبد المطلب ﴾ ولم يعلم له ولد سواه . وولد لعبد المطلب ﴿ عبد الله ﴾ وحمزة والعباس جد الملوك العباسيين

وولد لعبد الله بن عبد المطلب ﴿ محمد ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام